تاريخ فلاحة البساتين في مصر

العهد العربي : -

لما دخلت مصر في حوزة العرب لم يحصل تغيير يذكر في أول عهدهم وقد جاء في دليل دار الآثار العربيه « ولم يكن لمصر شأن يذكر ودام الحال على ذلك نحو قرنين ونصف تعاقب عليها أكثر من مائة عامل ولم يصب مصر على يدهم رقى يذكر لو استثنينا عمرو بن العاص القائد الشهير ومع ذلك فان خلفاء العباسيين امتازوا من أول الأمر بالتعلق بالعلوم والفنون »

ولضعف الولاة أضيفت اعمال رى الاراضى والزراعه الى أصحاب الالتزام فأهملوا الارض وقل العمران تدريجيا ويقال أن « عبد اللاوى » نسب الي عبد الله بن طاهر والى مصر على عهد المأمون فى القرن التاسع

الميلادى ـ ثم آل ملك مصر الى احمد بن طولون سنة ٢٥٤ هجريه (٨٦٢ ميلاديه) وكان هذا مبدأ دخول مصر فى عهد مغاير لسابقه فنمت الثروة وما لبث الميل الى تشييد العمارات والقصور الفخمة والحدائق أن سرى فى الناس ولما مات خلفه أبنه خمارويه (؟) فسار سيرة ابيه وبالغ فى العمارة والترف

جاء فى الخطط التوفيقيه للمرحوم على باشا مبارك

«فجعل ميدان ابيه مكان الرميلة الآن بستانا لم يسمع بمثله جمع فيه غرائب الاشجار والازهار ووزع فيه أنواع الرياحين واصناف الشجر ونقل اليه كثيرا من النباتات وحمل اليه كل صنف من الشجر المطعم العجيب وأنواع الورد ووزع فيه الزعفران وكسا احجام النخيل نحاسا مذهبا حسن الصنعة وجعل بين أجساد النخل ميازيب الرصاص وأجرى فيه الماء المدبر فكان يخرج من تضاعيف النخل عيون الماء فتنحدر الى مسافى معموله ويفيض منها الماء الى مجار تسقى سائر البستان وغرس فيه من الريحان المزروع على نقوش معموله وكتابات مكتوبة يتعهدها البستاني بالمقراض حتى لا تزيد ورقة عن ورقه وزرع النيلوفر الاحمر والازرق والاصفر وأهدى اليه من خراسان وغيرها كل أصل عجيب وطعموا له شجر المشمش باللوز وأشباه ذلك من كل ما يستظرف ويستحسن وبنى فيه برجا من الخشب المنقوش بالنقر النافذ ليقوم مقام الاقفاص وزوقه بأصناف الاصباغ وبلط أرضه وجعل فى تضاعيفه أنهار الطافا جدا ولها يجرى فيها الماء مدبرا من السواقى التى تدور على الآبار العذبه وتسقي منها الاشجار وسرح فى هذا البرج من اصناف القمارى والدباسى

والنونيات وكل طائر مستحسن حسن الصوت فكانت الطير تشرب وتغتسل من تلك الأنهار الجاريه فى البرج وجعل فيه أوكارا فى قواديس لطيفه ممكنة فى جرف الحيطان لتفرخ فيه الطيور وسرح فى البستان من الطير العجب شيئا كثيرا»

وقد أسس الاخشيد بستانا بجزيرة الروضة سماه « المختار » . أنفق على تشييده خمسة آلاف دينار وكان يتنزه فيه ويفاخر به أهل العراق وانشأ بستانا آخر جعل له ابوابا من حديد وكان يتردد اليه ويقيم به الايام ولما استقل بأمارة مصر الاستاذ أبو المسك كافور الاخشيدى كان كثيرا ما يتنزه فيه وكان البستان كبيرا جدا وفى محله الان حارات اليهود وخط الخرنفش

وفى سنة ٣٥٨ هجريه (٩٦٩ ميلاديه) آل ملك مصر الى الفاطميين وفى عهدهم دخلت البلاد فى عصر زاهر وقد ذكر الرحاله الفارسى ناصر خسرو فى كتابه سفرنامه وهو سائح جاء مصر حوالى سنة ٤٣٧ هجريه «١٠٤٧» ميلاديه أن مصر كانت ممتده على شاطىء النيل ومنازلها محاطة بالحدائق وبعضها كان مركبا . من سبع طبقات . جاء فى خطط المقريزي

«كان لخلفاء الفاطميين « مناظر » كثيره بالقاهره ومصر والروضه والقرافه وبركة الحبش وظواهر القاهرة وكانت لهم عدة متنزهات ايضا . فمن مناظرهم التى بالقاهره منظرة الجامع الازهر ومنظرة اللؤلؤه على الخليج ومنظرة الدكه ومنظرة المقس ومنظرة باب الفتوح ومنظرة البعل ومنظرة التاج والخمسة الوجوه ومنظرة الصناعة ودار الملك ومنازل العز والهودج بالروضه والاندلس بالقرافه وقبة الهوا ومنظرة السكره»

وقام الافضل بن أمير الجيوش فى أيام المستنصر والمستعلى بانشاء بستان البعل بين الترعة الاسماعيلية والخليج الآن واليه تنسب الزراعة البعليه قال ابن سعيده والبعل من النخل ماشرب بعروقه من غير سقى وأنشأ البساتين الجيوشية وذكر المقريزى أن أحدها يبتدي من عند زقاق الكحل (الدشطوطى الآن) خارج باب الفتوح الى منية مطر (المطريه) والثاني خارج باب القنطرة الى الخندق (الدمرداش الآن) وأنشأ الافضل أيضا بستانا شمال جزيرة الروضة سماه «الروضة» (سنة ١٠٨٦ ميلاديه) كان يتردد اليه كثيرا ومن ذلك الحين صارت الجزيرة كلها تعرف بالروضة

ذكر ناصر خسرو ما رآه معروضا فى أسواق القاهرة من الخضر والفاكهة فى اليوم الثامن عشر سنة ١٠٤٨ وهى الورد والزنبق والنرجس وزهر النارنج والبرتقال والليمون والتفاح والياسمين والبطيخ والموز والزيتون والبلح والعنب وقصب السكر وقرع الضروف والبصل والثوم والجزر والبنجر وقال أن هذه الانواع وان كانت تنضج فى فصول مختلفة الا أن مساحة البلاد المصرية واختلاف الطقس كفيل باخراج هذه المحاصيل وكان للقاضي الفاضل (عبد الرحيم البيسانى) على عهد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧ هجريه (١١٧١ ميلاديه) بستان عظيم (جهة المنيره الآن) يمير أهل القاهرة من ثماره وأعنابه واتجهت الانظار أيام صلاح الدين الى زرع الحراج لبناء سفن الاساطيل وكانت تزرع فى مساحات واسعة جدا فكان بالبهنسة ثلاثة عشر الف فدان وذلك خلاف ما بالاشمونين وأسيوط وأخميم وقوص

وقد وفد على مصر أيام الملك الكامل الايوبى النباتى والعشاب الطائر

الصيت ابن البيطار فعينه رئيسا على سائر العشابين

عهد المماليك

ولما آل أمر مصر الى المماليك سنة ٦٤٨ هجريه « ١٢٥٠ ميلاديه » كان بعضهم مشهورا بالهمة وقوة الفكر مثل الناصر محمد الذى حفر فى أيامه الخليج الناصري وأجرى فيه الماء فأنشأ الناس عليه عدة سواق واشتروا الاراضي من بيت المال وغرسوا فيها الاشجار وصارت بساتين جميلة وأنشأ بالقلعة بستانا عظيما وأجري اليه الماء من النيل بواسطة مجري وهي المعروفة الآن بالعيون وجلب اليه الاشجار من سائر البلاد حتى طلع فيه الكادي وجوز الهند وغير ذلك . وأنشأ بستانا آخر سنة ٧١٤ هجريه مكان الميدان الظاهري وأرسل الى دمشق فحمل اليه منها سائر الاصناف من الشجر وأحضر معها خولة من الشام والمطعمين فغرسوها فيه وطعموها ومنه تعلم الناس بمصر تطعيم الاشجار فى بساتين الفيل وذكر بعض المؤرخين أن أمرأة الناصر محمد حجت عام ٧٢٤ هجريه وأرادت ألا تحرم ركبها من التمتع بأكل البقول الطرية فصنع البستانيون أصص كبيرة من الفخار وزرعوا فيها البقول الخضراء والفاكهة وحملت على ظهور الابل وأخذت لها مايلزمها من الماء والعمال لخدمتها وريها فصارت كأنها واحة متحركة فى الصحراء وكان ركبها مؤلفا من ثمانية الآف شخص وذكر ابن اياس وهو من أشهر المؤرخين الذين مر عليهم اضمحلال دولة المماليك : —

« ان من محاسن مصر السبع زهرات التى تجتمع فى وقت واحد وهي

النرجس والبنفسج والبان والورد النصيبي والنسارنج والياسمين والورد الجورى وذكر أيضا نبات البيلسان وقال أنه لايوجد الا بمصر فى عين شمس فى حديقة مساحتها سبعة أفدنه

العهد التركي

ولما دخلت مصر فى عهد الاتراك سنة ٩٢٣ هجرية (١٥١٧ ميلادية) كانت السياسة المتبعة اذ ذاك هي توزيع الامر بين الامراء المصريين والموظفين الاتراك ولم يتمكن أحد الولاة من عمل شيء نافع فى البلاد

العهد العلوى — (محمد على باشا)

ولما استتب لمحمد على باشا الأمر فى مصر كانت الزراعة أول عمل وجه اليه عنايته الخاصة ولم يفته تحسين زراعة الجنائن فقد أنشأ بجوار قصره بشبرا حديقة غناء اتخذها وقصره مصيفا له

وعندما قدم نزبيل ومكاوس الي مصر سنة ١٨٢٨ مع بوقيه وجدا الحديقة الوحيدة التى تستحق الذكر بشبرا بالقاهرة على بعد ثلاثة أميال من المدينة حيث توجد الآن أول سراى لمحمد على باشا وقد بنى بأحد أطراف تلك الحديقة قرية يبلغ محيطها ثلثمائة من الامتار وبوسطها فسقية كبيرة يصلها الماء من ساقية مصنوعة من المرمر لاتزال توجد الآن وكانت تنار الحديقة ليلا بلمبات الغاز تحت مباشرة أحد المهندسين الانجليز وكانت مقسمة حسب الطريقة الافرنجية التى كانت متبعة فى تلك الايام الي مربعات دوائرها مرتفعة قليلا حتى تحفظ الماء أشبه كثيرا بغيطان الارز فى الصين وكانت محاطة بسور من الحجارة يبلغ ارتفاعه قدمين تعلوه

تكعيبة من الخشب مرتفعة ارتفاعا يكفى لتسلق أشجار العنب بينها زهريات من الحجر تحتوى على نباتات للزينة وكان يوجد بتلك الحديقة مشايات مرصوفة بالحصي ذى الالوان المختلفة يشبه ما بحديقة السراى القديمة باشبيلية ببلاد الاندلس وكان قد ابتدأ الجنايينيه الافرنجيون فى بناء صوبة حارة كبيرة لزراعة الاناناس ولكن كان التصميم رديئا لدرجة انها لم تصلح لهذا الغرض — وقد خصص فى الحديقة جزء لتربية الاشجار والشجيرات التى تزرع فى البلاد الاجنبية ولكن لم يجد بوقيه من تلك النباتات الا القليل مختلطا بأخرى بلدية ولم توجه فى تربيتها ما تحتاجه من العناية الخاصة ـ ويمكن أن يقال أن فلاحة البساتين وتوطن النباتات على الطريقة الاوربية بدئ بها في القطر المصرى بعد مجيء بوقيه والجنايينيين الانجليزى والاسكتلندى اللذان استحضرهما الامير ابراهيم سنة ١٨٢٨ وزرعت لأول مرة الاشجار الجديدة المزهرة حوالى سنة ١٨٣٠

وقد جاء فى كتاب (سيمون ماريين) المطبوع سنة ١٨٣٦ عن حديقة شبرا المجاورة لقصر ساكن الجنان محمد على باشا ما يأتي :

« ان شبرا ولا ريب هى المثل الاعلى لما وصلت اليه فلاحة البساتين التركية هى جنة عدن الفسيحة الفيحاء ذات العدد العديد من باقات الياسمين والفقنة وكل ماعرف من الزهور طرقاتها مزدانة الجوانب بالزعتر وحصا البان المقصوص المنسق كما زينت به حواف الابسطة الخضراء وقد بعثرت في أرجائها جواسق شتى الاحجام والاشكال ومظلات من أشجار وشيجه وخمائل البست بمتسلق النبات وفى وسط الحديقة بهو كبير الاستراحة فى وسطه نافورات ماء ودهاليز وأفاريز وشرفات مزينة باسود من الرخام

وأبواب منقوشة الذرى» وأنشأ لهذه الحديقة طريقا من القاهرة غرست على جانبيه أشجار متبادلة من الجميز واللبخ

واذا نظرنا الى أشجار الصنوبر الموجودة الآن فى بعض الجنائن بمصر (مثل حديقة سموا الامير محمد على حسن) نرى أنها آية فى الجمال ولا يرجع جمالها الى أنها غرست فى عهد محمد على باشا بل لانها كذلك من فصيلة يندر وجودها هنا ندورة عظمى وهي أيضا شاهد على المجهودات التى قام بها مؤسس الاسرة العلوية فى سبيل ايجاد مناظر بلاده التى ولد فيها — من جبال وبيوت محاطة بالأشجار والغابات — فى حدائقه الخصوصية .

أما تلك الاشجار فهى التى يسمونها بالصنوبر المظلى (بينس بينيا) وهى من النوع الذى يخرج تلك البذور التى ترد الينا من بلاد الشام وتباع في الاسواق تحت اسم « الصنيبر » وتستعمل عادة فى تهيء أنواع الحلوى

أما أشجار الصنوبر التي نشاهدها بكثرة فى الحدائق المصرية فهي أشجار الصنوبر الحلبي (بينس هالبينس) — ولم يكن ابراهيم باشا خلف محمد على باشا الا ناسجا على منوال سلفه فى انشاء الحدائق (ولو أن عهده لم يطل) فأنشأ لنفسه بستانا كبيرا بجزيرة الروضة وجمع له النباتات النادرة بواسطة المسيو نقولا بوقيه الاخصائي واستقدمه من باريس لهذا الغرض سنة ١٨٢٥ ميلادية وقد هدم عباس الاول كل ما أفنى فيه جده العظيم زهرة حياته — وبعد أن تولى سعيد باشا استأثر بجميع السلطة ولم يعتمد على أحد من الوطنيين وقد أحسن بأصداره قانون الاراضى الشهير عام ١٢٤٧ هجرية الذى أصبح به الفلاح لأول مره المالك الحقيقى لما يفلحه من الارض

اسماعيل باشا

وقد كانت عناية اسماعيل باشا الخديوى السابق بانشاء الحدايق على اختلاف انواعها مما يستوقف نظر المؤرخ وليس من المبالغه القول بأنه لم يعن حاكم من حكام العالم بتشجيع فن الحدائق عناية اسماعيل باشا به فى مصر . فقد ادخل اليها ابان حكمه كثيرا من الاشجار المختلفه الانواع والحقيقة ان وجود تلك الاشجار هو السبب فيما لحدائق القاهرة والجيزه والجزيره من الرونق وجزيل المنفعة وقد كان يستجلب البذور والشجيرات من ابعد اصقاع العالم وأشدها تباينا ليزرعها فى حدائقه ولذا نرى الآن الاشجار الا بعد موطنا تعيش مع بعضها جنبا الى جنب . وقد كان لسعيد باشا فى الجيزة دار صغيرة بحديقتها فذكرها اسماعيل باشا عند ما أراد تشييد قصره الذى بلغت مساحته وما جاوره من البلاط والملحقات ستة أفدنه . وتم بناء القصر عام ١٨٧٥ ولكن الحديقة لم تتم الا بعد ذلك وقد قام بوضع تصميمات تلك الحدائق المسيو كاسون الذى هيأ ايضا التصميمات اللازمة لحديقتى قصر الجزيرة والازبكية

وكان أمر القيام بتلك الاعمال موكولا الى المسيو ديلا شفاليرى الذى كان يعاونه عدا ابراهيم حموده كبير البستانيين الوطنيين كثير من الافرنج من جنسيات مختلفة وكانت حدائق الارمان عباره عن الجزء الشمالى من أرض القصر وأغلبها مغروسا بأشجار الفاكهة المستورد أكثرها من اوروبا وممالك أخرى . أما الاراضى الواقعة جنوب حديقة الارمان فكانت قاصره على كونها للزينه ولا يزال الحائط القائم هنالك يستعمل كحائل بينها وبين حديقة الحيوانات وكانت مساحة الحدائق مما تبلغ

مائتى فدان ونيفا

ولم يكن اهتمام اسماعيل باللهو بحديقة الزبنة أعظم من اهتمامه بحديقة الخضر فقد كانت زراعة الفاكهة متفوقه جدا وبالغة حد النظام وكانت خضر الصيف تزرع فى الشتاء تحت أغطية من الزجاج وقد عملت عدة تجارب فى الحدائق لاجل زراعة النيله لأنه كان يرغب فى تشجيع زراعتها بمصر وانشئت صوبة مساحتها ثمانية أفدنه لتتكاثر فيها الاشجار وتزرع فى القاهرة وفى انحاء القطر المختلفة ـ وكان بالجزيره ايضا حديقة لتربية الاسماك باقية للآن استقدم لها اخصائيين بعمل الكهوف وغرس فوقها الاشجار الجبليه وبها مجموعة نفيسة من النخيل ـ اما حديقة الحرم والسلاملك بالجيزه فيعرفان الآن بجنينة الحيوانات ـ وقد احسن ايما احسان الى سكان القاهرة بانشائه حديقة الازبكيه حيث كان موضعها ميدانا ارضه منخفضة عن مستوى مياه النيل فجعل الحديقة فى عشرين فدانا منه وأضاف اليها شتى أنواع الملاهى وكان بها اجمل مجموعة للنباتات التى اتي بها من الخارج وألفت طقس مصر وكانت خاتمة ماشاده اسماعيل من الحدائق جنائن الجيزه التى ابتدأ فى تهيئتها بعد ان أوشك ان يتم تشييد حديقتى القصر بالجزيرة والازبكيه

ومما يؤسف له ان الاعمال السابقة اهملت بعد نزوله عن الأريكة وقد يكون من المفيد الالماع الى وصف حديقة القصر الذى يعرف الآن بسراى الجيزه والذى بنى فى عهد اسماعيل باشا وقد شاد تلك الحديقة واعد لها كل معداتها المغفور له السلطان حسين فجعله مقره فى السنوات التى سبقت اعتلائه الاريكة المصريه . أما حديقة الجيزه فكانت

جلها مخصصة للزينه واشتهرت بجمالها حتى فى خارج القطر وكان في صوباتها مجموعات نفيسة من النباتات السرخسية والسحلبية ولكن مما يؤسف له ان كثيرا من تلك الاشجار نزع بعد ان غادر القصر المغفور له السلطان حسين ولو ان النظام نفسه لم يطرأ عليه أى تغيير . ففى هذة الحديقة دون سواها من انحاء القطر تجد شجرة قائمة من شجر الابنوس الحقيقى وهناك ايضا كان مهد كثير من كل مستطرف حديث على فن الحدائق اذمن بين اشجار الورد الكثيرة التى أخرجها ذلك المعهد الى الحدائق الاخرى فى القطر النوع الذى يسميه بستانيو مصر «بالحسينى» وكذلك شجرة الجهنمية التي بلون الفرق الاحمر هذا بصرف النظر عن نباتات اخرى (كالاراولا) . وكان وجود مثل تلك الحديقة باعثا على اخراج بستانيين ماهرين كانوا سببا فى نشر المعلومات الخاصة بفلاحة البساتين فى انحاء المملكه

ولكن مما يؤسف له ان عدد الملاك الذى يميلون الى تشجيع انشاء الحدائق لايزال قليلا بالنسبة الى مايجب ان يكون . ولو انه في السنوات الاخيرة قد أخذ الميل الى انشاء حدائق للزينه يتسرب نوعا الى أمزجة المزارعين وبدرجة أشد الى انشاء جنائن نجارية اذ قد فطن الناس الى ان الحدائق علي اختلاف انواعها ركن عظيم من أركان ثروتنا الزراعيه مما يجعلنا نتوقع ان البذرة التى غرسها محمد على الكبير والتى تعهدها بالخدمة والرعاية وساعد على حسن نموها اسماعيل باشا والمغفور له السلطان حسين ستخرج ثمارا يانعة دانية قطوفها فى القريب من السنوات المقبله

زراعة الفاكهة بالاقطار السورية

ومقارنة ذلك بزراعتها في مصر

المشمش

المشمش بلاد تشتهر به في الاقطار الثلاثة . مصر ـ سوريه ـ فلسطين ـ فعندنا قرية العمار بمديرية القليوبية قد امتازت باتساع مساحة ما يزرع منه، وفي القطر السوري اشتهرت بزراعته بلاد بسوس وبعلبك ودمشق، وفي فلسطين بلاد بيت جالا وبيت لحم وأرطاس ـ

ولسوريا المقام الاول سواء من جهة جودة الصنف او الكمية فانه علاوة على ما يستهلك من ثمار المشمش في تلك البلاد يصدر منها سنويا كميات عظيمة من قمر الدين والمشمش المجفف وبذور المشمش وذلك بخلاف ما يصدر على شكل مربيات ومسكرات

ولفلسطين المقام الثاني . أما مصر فهي للأسف في الدرجة الثالثة بينها ، وهي أقل اهتماما بتحسين أصناف ماتزرعه ، ولعل اول أسباب ذلك اتباعها طريقة زراعة الاشجار من البذرة ، فقد ينتج من ذلك عدة أصناف ممتازة في الجودة ولكن ينتج في الوقت نفسه مقدار اكثر من الاصناف الرديئة . ولا تبذل العناية اللازمة بالمحافظة على بذور الاصناف الجيدة والاكثار منها ، أو اتباع طريقة التطعيم في تكثير الاصناف الممتازة

ويقوم قسم البساتين بسد هذا النقص فيوزع سنويا بطريق البيع للأهالي عددا كبيرا من الاشجار المطعومة بالاصناف الجيدة ، كما يوزع أشجارا أخذت بذورها من ثمار منتخبة . كذلك توزع مشاتل مجالس

المديريات التى يشرف عليها قسم البساتين كثيرا من الاشجار المطعومة سنويا

والطريقة التى يتبعها قسم البساتين فى تكثير المشمش هى باختصار كالآتي :

تزرع بذور المشمش الكلابي أو البلدى فى شهور نوفمبر وديسمبر ويناير ، وتزرد (أى تطعم بطريق العين) البوادر الناتجة من زراعة تلك البذور في شهرى أغسطس وسبتمبر من أول سنة من زراعتها ، وتقرط الاصول فوق العيون المطعومة فى أواخر يناير أو أوائل فبراير أى بعد سنة تقريبا من زراعة البذرة فيخرج فرع من الزر المطعوم يكون هو الشجرة فى المستقبل ، وفى يناير التالى تنقل الشجرة من المشتل الى مكانها المستديم من البستان ويكون اذ ذاك عمرها سنتين

وفى فلسطين يزرعون بذور اللوز المر فى الشتاء فى مكانه المستديم مباشرة ويطعمونها بعد سنتين تقريبا فى (فى ابريل ومايو) وقد يرى مكان الطعم فى كثير من الأشجار على ارتفاع نحو الماية وعشرين سنتيمترا من سطح الارض .

اما فى دمشق بسوريا فتزرع بذور المشمش الكلابي أو فى احوال قليلة بذور اللوز المر فى المشتل أولا وذلك فى الشتاء ، وتباع كنباتات بذرية عمرها سنتين فى الغالب للمزارعين الذين يزرعونها في امكنتها الدائمة مباشرة ثم يطعمون تلك النباتات في ابريل ومايو اى عندما يبلغ عمرها سنتين — وفى بعلبك وبسوس تزرع في الشتاء بذر المشمش الكلابي في الأماكن المستديمة مباشرة وتطعم كذلك فى ابريل ومايو حينما يكون

عمر النبات سنة ونصف او سنتين والحالة الاخيرة هى الغالبة

المسافات : مما يدعو للأسف ان الثلاثة اقطاوعلى وجه عام لا يتبعون نظاما أو ترتيبا فى زراعة أشجارهم ، فبينما نجد الانسان الشجر متكاثفا فى بعض البساتين نجده متباعدا فى الأخرى ، وربما يلتمس العذر لأهالى بيت جالا وبيت لحم بفلسطين وبسوس بسوريا لعدم اتباعهم النظام وذلك لأن الاشجار واقعة على سفح التلال المنحدرة وتكون فى بعض الاحيان منزرعة على أجزاء من سفح التل أشبه شيء بالدرج المرتفعة احداها عن التى أسفلها بنحو متر ونصف ولا يزيد عرضها فى بعض الاحوال عن متر . اما فى بعلبك ودمشق فالارض منبسطة كما هو الحال فى القطر المصرى ، فلا يوجد والحالة هذه ما يمنع من اتباع النظام فى زراعة الاشجار . وقد بدأ بعض مزارعينا بمصر أخيرا في مراعاة النظام فى زراعة اشجارهم ويزرعونها الآن بانتظام على بعد يتراوح بين سبعة أو عشرة امتار بين الشجرة والاخرى

الانواع : ذكرت فى أول الكلام على المشمش أن لسوريا المقام الاول من جهة جودة الصنف وكذا فى المقدار وسأصف فيما يلى الانواع المنزرعة هناك :

فأحسن الاصناف المشمش اللوزي وأشهر البلاد التى تزرعه بلدة بسوس وهى بلدة واقعة على سفح الجبل طريقها وعر وخطر حتى يخشى على السيارات من المرور عليه ، وأشجار هذا الصنف قوية النمو تحمل محصولا جيدا من ثمار كبيرة مستديرة بيضاء وردية ، ولحمها غير ملتصق بالنواة ولها طعم شديد الحلاوة ، ونواته حلوة الطعم تشبه فى ذلك نواة

المشمش الحموى عندنا . ومن هذا الصنف ما كانت ثماره مبكرة النضج وتنضج فى ابريل ومايو ، ومنه ماكانت ثماره متأخره وتنضج فى يونيه . والمشمش الحموى صنف اشجاره قوية النمو كثيرة المحصول ، ثماره كبيرة مستديرة محمرة لحمها حلو جدا ذو رائحة عطرية وينضج فى دمشق فى شهر مايو ويونيه . اما فى بعلبك فيمتد زمن نضجه الى أوائل يوليه نظرا لارتفاعها نحو ١٢٠٠ متر عن سطح البحر .

والمشمش البلدى صنف ثماره كبيرة الحجم حلو الطعم ، نواته حلوة كنواة المشمش اللوزى وهذه الأصناف الثلاثة تؤكل ثمارها طازجة أو تحول الى مربيات ومسكرات أو تجفف .

والمشمش الامريكانى صنف أشجاره قوية تحمل محصولا كبيرا ، وثماره أكبر من ثمار أى صنف آخر ، وهو متأخر جدا فقد رأيت ثماره على كثير من الاشجار فى أوائل أغسطس ووجدت بعضها لم تنضج تماما ويوجد غير هذه الاصناف بالاقطار السورية أصناف أخرى كالخورى وهو صنف قليل الانتشار : — أما المشمش الكلابي فهو أقل الاصناف قيمة ويشبه البلدى عندنا فى الحجم غير أنه أحلى من البلدى فى الطعم ! ومن هذا الصنف يعمل قمرالدين بكميات هائلة والاتجار به كثير خصوصا فى دمشق — وكيفية صنعه هو أن تجمع ثمار المشمش الكلابي فى أواني كبيرة بها ثقوب رفيعة من الاسفل ، وتكبس الثمار من الأعلى فيصفى العصير الثخين المتماسك قليلا وتبقى البذور والقشر ، ويفرد ذلك على قطع من القماش بعد وضع قليل من الزيت عليها قبل استعمالها ، ثم يجفف فى الشمس لمدة أربعة أو خمسة أيام ثم تنزع لفائفه من على القماش وتلف وتعد

للتجارة والتصدير

التقليم : فى الاقطار السورية تترك أشجار المشمش كما تترك فى فلسطين ومصر بدون أن تقلم ويكتفى بقطع الافرع الميتة

الرى : لاتعطى أشجار المشمش فى فلسطين ماء خلاف ما ينزل عليها من الامطار الا فى بلدة ارطاس فان الاشجار تصل اليها الماء فى الصيف عرضا عند رى الخضروات المنزرعة تحتها ، وهى فى ذلك تشبه بعلبك ودمشق فى سوريا . أما فى العمار بمصر فأن الاشجار تروى من مياه السواقى المعين فى الصيف قبل نضج الثمار كل أسبوع تقريبا . ويعتقد أهالى تلك البلدة أن ثمار الاشجار التى تروى من مياه النيل لاتصل فى حلاوة طعمها ما تصل اليه تلك التى تروى أشجارها من السواقى المعين ، كما أنهم يعتقدون خطأ أن الري من مياه النيل يزيد فى قابلية الثمار للاصابة بالدودة

التسميد : لايسمد أصحاب أشجار المشمش فى فلسطين أشجارهم وكذلك الحال في بسوس بسوريا اما فى بعلبك ودمشق فالسماد يصل عرضا للأشجار عند تسميد الخضروات التى تزرع تحتها والغالب فى العمار بمصر ألا تسمد تلك الاشجار ويعطى من يسمدها منهم للفدان نحو العشرين مترا مكعبا من السماد البلدى كل سنتين فى الشتاء

المحصول : يبلغ محصول الشجرة السليمة البالغة فى سوريا من ثلاثين الى خمسين رطلا سوريا . أي من ١٨٠ - ٣٠٠ رطل مصرى وتحمل الاشجار السليمة فى ناحية العمار عندنا لغاية ثلاثة قناطير وأربعة قناطير فى بعض الاحيان . وفى فلسطين يقرب محصول الاشجار من مثيلتها فى سوريا

الآفات : تصاب أشجار المشمش فى سوريا ومصر بنوع من اليرقات يشبه فى شكله وحجمه الدودة القرنفليه ، وقد أرسلت منه عينة فى سنة ١٩٢٣ وجدتها فى العمار الى قسم الحشرات لتعريفها ولكن يظهر أن اليرقات التي أرسلتها تركت الثمار أثناء الطريق، وقد رأيت نفس الحشرة داخل الثمار فى بعلبك ويغلب على ظنى أنها يرقة فراشة الافستيا ولم يمكنى ملاحظة تلك الحشرة بفلسطين نظرا لأن الثمار كانت قد نفدت قبل زيارتى لتلك البلاد

البرقوق

البرقوق من أفخر الفواكه وأحلاها بالافطار السورية ويسمونه « خوخ » وما كنت أعتقد قبل ذهابى الى سوريا أن البرقوق من فواكه الدرجة الاولى حتى ذهبت فوجدت أنه لا يقل شأنا عن أحسن اصناف الكمثرى والتفاح ، كما وجدت أنه لا نسبة بين أحسن أصناف البرقوق التي ترد على مصر من الخارج أو أحسن الاصناف التى تزرع بمصر الآن وهى الكومبينيشن واليابانى والكليماكس - وبين الاصناف التى تزرع بسوريا . ومما يؤسف له ان طرق المواصلات بين مصر وسوريا ليست سهلة بحيث تسمح باستيراد ثمار بعض الاصناف من هناك فى حالة جيدة

وأغلب البرقوق المنزرع بسوريا من النوع المسمى « پرونس دومستيكا » ومن اصنافه ما هو منزرع من زمن بعيد بتلك البلاد ، ومنها ما ادخل حديثا من فرنسا أى من نحو خمسة عشر اوعشرين سنة تقريبا . والهيئة الوحيدة التى تستورد أشجار الفواكه هناك من خارج سوريا هى مدرسة الزراعة بتعنايل ، وهي مدرسة متوسطة يقوم بشؤون التعليم فيها جماعة

الرهبان الكاثوليك، وقد استوردوا الى تلك الديار كثيرا من انواع الفواكه فنجح منها اصناف البرقوق الفاخرة التي تزرع بفرنسا مثل « الرين كلود » باصنافه ، ومما يذكر لهؤلاء القوم ان لهم بتعنايل حديقة واسعة للفواكه وأخري للخضروات ، ويقومون بانتخاب الانواع الجيدة من الفواكه الاهلية ويزرعونها مع ما يستوردونه من الانواع الاجنبية ويقومون بتكثير الاخيرة على وجه اخص وبيع اشجارها الصغيرة للاهالى على مثال ما يعمل قسم البساتين بالقطر المصرى وانتشار بعض الاصناف الاجنبية من الفواكه ومنها بعض اصناف البرقوق في بعض جهات جبل لبنان يعود الي مجهود هؤلاء القوم خصوصا وان للاهالى هناك ثقة كبيرة بما يبيعونه من الاشجار

وتشتهر بلاد قب الياس وبعلبك وبسوس بكثرة مايزرع فيها من البرقوق، ورغما عن انه يزرع بتلك البلاد فى مساحات واسعة خصوصا فى قب الياس فان الاهالى هناك لا يعطون أشجاره ما تستحقه من العناية والاتقان .

الاصناف : أحسن الاصناف بسوريا الصنف المسمى « رين كلود » وهو مستورد من فرنسا شجرته قوية النمو ، ثماره كبيرة خضراء مظللة بالحمرة تشبه فى ذلك ثمار البرقوق المسمى شابوت عندنا وهى عصيرية شديدة الحلاوة) تحمل اشجاره محصولا كبيرا ينضج فى شهر اغسطس .

والصنف المسمى « رين كلود دا كولى » صنف ثماره كبيرة جدا بحجم بيضة الدجاجة الكبيرة وشكلها ولونها اصفر مائل للبياض وطعمها شديد الحلاوة ، واشجاره قوية النمو تكاد تنوء فروعها تحت ثقل المحصول الذى

ينضج فى شهر يوليه ، وهذا الصنف مستورد من فرنسا ايضا

والاصناف « بل دى تور » ومون‌فور « وميرابل تارديف » كلها اصناف مستوردة من‌فرنسا لاتقل اهميتها عن الصنفين السابقين وجميع هذه‌الاصناف تربى منها أشجار صغيرة فى‌مشتل« تعنايل » وتباع للاهالى بما يقرب من الثمانية قروش للشجرة الواحدة .

وتشتهر بلدة قب الياس بالبرقوق الاسلامبولى وهو صنف منزرع من زمن بعيد بالاقطار السورية ، وهو أكثر الاصناف انتشارا بها أشجاره قوية النمو متوسطة الحجم تحمل محصولا كبيرا من ثمار بيضية الشكل كبيرة الحجم لونها احمر داكن‌سهلة التقشير لحمها عصيرى حلو المذاق جدا ، والنواة سهلة الانفصال عن اللحم . ويزرع هذا الصنف كثيرا فى بعلبك ولكنهم يطلقون عليه اسم البرقوق الماوردى .

ويزرعون فى بعلبك غير هذا الصنف ثلاثة أصناف اخرى هى القاسمي والقيصرى وكلاهما يختلف كثيرا عن الاسلامبولى السابق ذكره والصنف الثالث هو الرين كلود وأصل أشجاره من تعنايل .

ويزرع فى‌بلدة بسوس غير البرقوق الاسلامبولى نوعان آخران يشبهان البرقوق السكري عندنا ولا يسميان خوخا كما تسمى عندهم أصناف البرقوق بل يطلق عليها اسم « جنارك » ولعله اسم تركي . وأحد هذين الصنفين ثماره مصفرة والاخر ثماره حمراء وكلاهما شديد الحلاوة متوسط الحجم ، وشجرتهما قوية النمو تحمل محصولا غزيرا

طرق التكاثر : أنواع البرقوق الاهلية مثل «الاسلامبولى» فى قب الياس وبسوس « والقاسمي » « والماوردى » « والقيصرى » فى بعلبك

كلها تزرع من الخلفة التى تنمو بجوار الاشجار وغاية مايعمله زراع تلك البلاد هو ان يفصلوا تلك الخلفة عن امهاتها فى أواخر شهر فبراير ويزرعونها فى اماكنها المستديرة مباشرة — اما انواع البرقوق الأخرى المستوردة من فرنسا مثل « الرين كلود » و « والمون فور » الخ فلا تنجح زراعتها الا بالتطعيم ، وبطعمونها هناك في الربيع على نباتات «الميروبلان» كذا يطعمون « الجنارك » فى بلدة بسوس على «الميروبلان» أو على النباتات البذرية المشمش . اما عندنا في مصر فنكثر من أنواع البرقوق اليابانى — التى استوردها قسم البساتين ونجحت زراعتها بالقطر المصرى أعظم نجاح — بواسطة التطعيم على نباتات الماريانا .

والحالة العمومية لبساتين الاقطار السورية — بعد استثناء بساتين الاشجار الحمضية بصيدا — غير مراعى فيها ترتيب ولا نظام ، فان الاشجار تزرع على مسافات مختلفة ، وفى البعض ترى الأشجار قريبة جدا من بعضها وفى الاخرى توجد متباعده جدا عن بعضها

التسميد : ولا تسمد أشجار البرقوق بسوريا الا بما يصل اليها عرضا عند تسميد الخضروات التى تزرع تحتها .

الرى : وجميع البلاد التى تزرع البرقوق فى سوريا بها ينابيع مياه طبيعية تروى منها الاشجار صيفا كل عشرة الى اثنى عشر يوما ، اما في الشتاء فلا تروى الا بما يسقط عليها من الامطار

التقليم : ولا تقلم اشجار البرقوق عندهم بالمرة بل تترك على حالها كما يعمل المزارعون عندنا

منير بطرس